من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر
الأمير خالد (1875-1936م)

د. عبد المجيد بن عدة
أستاذ محاضر(أ) بالمدرسة العليا
للأساتذة – بوزريعة -

ملخص :

يستهدف هذا البحث رصد مجهود الأمير خالد في خدمة القضية الجزائرية من خلال توظيفه لوسائل التواصل العصرية المتمثلة في الصحافة والنوادي والجمعيات واستغلال المؤسسات الاستعمارية مثل الهيئات التمثيلية لإسماع صوت الشعب الجزائري والسعي لانتزاع حقوقه في حدودها الدنيا، كما رافع خالد من أجل القضية الجزائرية في المحافل الدولية قصد الوصول إلى انتزاع حق تقرير المصير للشعب الجزائري، ودفاعه الصلب عن الهوية الجزائرية العربية الإسلامية.

مقدمة :

ظهرت شخصية الأمير خالد على مسرح الأحداث في خضم ظروف سياسية كانت الهجمة الاستعمارية الفرنسية قد أكملت سيطرتها العسكرية على البلاد الجزائرية واستطاعت أن تسكت تقريبا كل المجاهرين بالعداء لها، ولم تبق مع نهاية القرن التاسع عشر – بعد سبعين سنة من جهاد السيف - إلا أصوات أولئك المسبحين بحمدها والسائرين في ركابها من دعاة الإدماج وبعض رجال الطرق المدجنين الذين كانت المهمة الموّكلين بها تسويق بضاعة الخرافة والبدع والدجل وتثبيط عزائم أولئك الذين يفكرون في التمرد على الواقع. فكان خالد كرجل الساعة الذي جاء ليخلص قومه من الشرور والمظالم التي لحقت بهم، ويشعل شمعة تضيئ الطريق أمامهم. وإذا كان جده "عبد القادر الجزائري"- الذي استلهم من تجربته الجهادية- قد امتشق السيف لمواجهة

أعدائه، فإن خالد قد جعل من الكلمة والقلم عدته في كفاحه الوطني، ولم يكن يبتغي من ذلك سلطة ولا مغنماً "... لقد اقتحمت العمل السياسي، وخضت الصراع في مجالس النواب المنتخبين للدفاع بكل ما وهبني الله من قوة، وبكل ما في قلبي من الحب عن مصالح إخواني المسلمين ورفع الضرر عنهم..."[1].

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول بذل قصارى الجهد في إبراز أهم ملامح شخصية الأمير خالد، ومحطات كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر. فإلى أي حد وفق الأمير خالد في كفاحه السياسي، ونشاطه الاصلاحي يا ترى؟.

- **نبذة عن حياة الأمير خالد والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيته :**

هو الأمير خالد بن "الهاشمي" بن الحاج عبد القادر، ولد في أحضان مدينة دمشق الفيحاء يوم 20 فبراير من عام 1875م. وفي أحضان اسرة أصيلة وكريمة نشأ وترعرع، فقد حظي منذ نعومة أضافره بعناية خاصة من قبل والده "الأمير الهاشمي" الذي قام بتربيته وتثقيفه، فقد تردد خالد على معاهد دمشق الدينية، وأمضى في رحاب دورها ومساجدها ومراتعها مرحلة طفولته الأولى وشبابه الغض، حتى إذا ما أخذ عوده يقسو على الأيام. قرر والده الأمير "الهاشمي"العودة إلى الجزائر في سنة1892.[2]وكان خالداً آنذاك طالباً في ثانوية "لويس لوغراند" أي الأكبر بباريس منذ سنة 1885م إلى سنة 1893م[3]، وهي نفس السنة التي التحق فيها بكلية "سان سير" العسكرية بفرنسا نزولا عند رغبة والده الذي رغب بعد نيل ولده "خالد" بكالوريا العلوم أن يدخل هذه المدرسة المتخصصة في الأسلحة، التي كانت كشرف ضروري له، على الرغم من أن "خالدا" كان رافضا ولا يقاسم والده وجهة نظره، متعللا بعدم وجود رغبة له في المهنة العسكرية[4].

وقد أشارت الدواوين الفرنسية السرية يومئذ أنّ "خالداً" الذي وفرت له قاعة لأداء فريضة الصلاة وخصص له طعام خاص(مراعاة لقواعد الاسلام) وكان يتناوله في غرفة التمريض للمدرسة. كان سيء الطوية والنوايا إزاء فرنسا، ففي فترة الإجازات كان "خالد" يرتدي البدلة العربية التي كان فخوراً

بها، ولا يتركها إلاّ عندما تستدعي الضرورة للقيام ببعض الزيارات الرسمية. وكثيراً ما كان يعبر عن انتمائه العربي الاسلامي في الكلية العسكرية بشكل سافر واستفزازي للفرنسيين فقد كان يغني بأعلى صوته المقطوعة الموسيقية وهي للمجموعة الصوتية "جنود فاوست"(Faust)، وقد جاء فيها "المجد والخلود لأجدادنا"، إلاّ أنّ خالدا بدّل عن قصدٍ "أجدادنا" بكلمة "أجدادي"، ولم يدع فرصة تمضي دون أن يعبر عن حقده على فرنسا والفرنسيين. حتى أنّه كثيراً ما غنى في الساحة المبلطة بالمرمر مقطوعة المجموعة الصوتية لجنود فاوست، إلاّ أنّه على غرار ما كان يفعل دائماً حيث كان يتعمد تغييره، فعوض أن يقول "الجنود المنتصرون" كان يقول "العرب المنتصرون" وكان الوكيل "فاسي" يرى أنّ هذا التحريف للكلمات المعزوفة الموسيقية ينمُّ عن رغبة واضحة ومتعمدة في جرح عواطف الفرنسيين[5].

وقد حاولت الادارة الفرنسية قبول الأمير خالد لا كأهلي وإنما كمواطن فرنسي، على أمل قبوله الجنسية الفرنسية قبل تخرجه من الكلية[6]، التي أظهر فيها تفوقاً واضحاً في دراسته، لكنه سرعان ما ترك الكلية قبل الوقت المحدد لامتحانات التخرج في سنة 1895م ليستقر به المقام بمدينة الجزائر وذلك لظروف عائلية[7]، وكذا نفاذ موارده المالية. ورغم توجس السلطات الفرنسية خفية من نواياه المضادة لها وأن تدفعه الظروف التي هو فيها على القيام بثورة فإنها لم تقدر على منعه من السفر إلى الجزائر، لكنها عمدت إلى فرض الإقامة الجبرية على عائلة الهاشمي بمدينة بوسعادة سنة1895م[8].

وبعد موافقة خاصة حصل عليها "الأمير الهاشمي" من فرنسا تمكن من إقناع خالد بالعودة إلى الكلية العسكرية التي تخرج منها سنة1897م برتبة "ملازم" ورغم ضغوط الإدارة الشديدة رفض الأمير خالد الجنسية الفرنسية المعروضة عليه، علماً أنّه لم يكن أحد ليترقى ما لم يتخلى عن جنسيته، ولكن مكانته العائلية كوريث إمارة كان شفيعه في نيل الرتبة التي تعد الاستثناء الوحيد في تاريخ الجيش الفرنسي.[9]

وقد كان تاريخ ارتقائه إلى رتبة "ضابط" في 11-9-1897م -وبعدها يؤدي خالد حسب العرف الاستعماري- واجب الخدمة العسكرية في "المغرب الأقصى" سنة1907م، فيرقى إلى رتبة قبطان(نقيب) سنة1908م، فكانت هذه أعلى رتبة يمكن أن ينالها ضابط جزائري لا يحمل الجنسية الفرنسية[10].

وفي المغرب الأقصى كان الأمير خالد من أنصار السلطان "مولاي عبد العزيز" ضد "مولاي عبد الحفيظ" المطالب آنذاك بالعرش، الأمر الذي جعل الماريشال ليوتي (1912م)[11]ينظر إليه كعنصر شغب واضطراب، فكتب في ذلك تقريراً سرياً وجهه إلى الرئيس الفرنسي(جورج كليمنصو) في(25-10-1917م) يقول فيه: "...لا مجال للشك عن مشاعر خالد الحقيقية نحونا وعن تعاطفه مع أعمال عمه "عبد الملك"[12] ضدنا. وكان عبد الملك قد أعلن الحرب ضد فرنسا في (مارس 1915م)[13].

وقد عمل الأمير خالد كعسكري محترف منذ تخرجه حتى عام 1913مفي مواقع مختلفة في الجزائر والمغرب، ولا شك أنّ هذا العمل مثّل رصيدا إضافيا لتجربته وبلورة شخصيته بالقدر الذي أهّلها لأن تضطلع بمسؤوليتها الوطنية المتمثلة في السعي لإصلاح أحوال وطنه والنضال من اجل انتزاع حقوق مواطنيه ضد الإدارة الاستعمارية وغلاة المعمرين وأذنابهم من الأهالي. وقد نفي من الجزائر سنة 1923 وتوفي بالمنفى بدمشق سنة 1936

- كفاح الأمير خالد السياسي :

آمن الأمير خالد بأنّ الحقوق تؤخذ ولا تعطى، وأنّ معاناة شعبه لا يمكن أن ترفع إلاّ بالانخراط في الكفاح ومغالبة أعداء الأمّة، يقول جمال قنان: ".. لم يكن مسموحاً للفرد الجزائري قبل 1919م بالتنفس والتعبير عن المطالبة الهادفة إلى التخفيف من معاناة المجتمع الناجمة عن الآلية القهرية المسلطة عليه "[14].

ويمكن أن نعتبر أنه ابتداءً من 1913م بدأ نجم "الأمير خالد" يتألق في عالم السياسة، وبرز شخصه في الميدان كأعظم شخصية وطنية قومية ظهرت بالجزائر[15]. فبمجرد منحه اجازة –لمدة 3 سنوات- سنة 1913م بعد الحاح منه،

وخلال وجوده بالجزائر أثناء الإجازات عاود من جديد الاتصال بالشبان الجزائريين، بحيث تدخل في الانتخابات المخصصة لاختيار المندوبين الماليين وعمل على دعم أحد أصدقائه "زروق الحلوي" ضدّ مرشح الادارة الفرنسية "بن صيام" وكان الفشل من نصيب صديق الأمير خالد[16].

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م أسرع "الأمير خالد" للتطوع على الفور في وحدات المتطوعين الجزائريين، وقد نظرت باريس إلى هذه المبادرة بتقدير كبير، في الوقت الذي اعتبر الحاكم العام للجزائر أن هذه "المبادأة" تنطوي على سوء النية وذات طابع تحريضي مثير. ونظرا لكفاءة الأمير خالد القتالية وشجاعته التي أظهرها في ميدان الحرب فقد منح"وسام الصليب الحربي"، مع الإشادة ببطولاته في عدد من المرّات (بواسطة تعميم الأوامر اليومية)[17].

وفي 1915م سرِّح "الأمير خالد" من الخدمة في الجيش الفرنسي بسبب مرض صدري أصابه[18]،ولكن عودته إلى بلده لم ترق للإدارة الاستعمارية التي أظهرت تذمرها بمجرد عودته بذريعة عدم إعلامها مسبقاً بالأمر، ولأن محرضي الشعب ضد ممارساتها كانوا كذلك في استقباله[19] كما زعمت.

والحق أن "الأمير خالد" قد كشف عن نشاطاته السياسية الوطنية بصورة علنية منذ أن استقال من الخدمة في الجيش الفرنسي بصفة علنية سنة 1919م[20]، مستقرا بمدينة الجزائر حيث دشن عهدا جديدا في حياته النضالية إنه الكفاح السياسي العلني ضد الاستعمار الفرنسي. وقد تنوعت وسائل العمل الوطني عنده، من خلال العرائض، والنضال من خلال الصناديق الانتخابية قصد احداث تغيير لصالح الجزائريين من خلال تمثيلهم في المجالس، وإيجاد منبر إعلامي وطني يمرر من خلاله أفكاره الإصلاحية ويفضح أيضا من خلاله الممارسات الاستعمارية الدنيئة في حق الجزائريين، حيث أسس جريدة "الإقدام"، وأوجد إطارا للعمل الجمعوي الوطني من خلال تأسيس " جمعية الأخوة الجزائرية".

- **عريضة الأمير خالد إلى مؤتمر الصلح سنة 1919م والمطالبة بحق تقرير المصير :**

يعد هذا الأسلوب في الكفاح غير جديد على الجزائريين فقد افتتح العمل بهذه الطريقة حزب المقاومة الذي قاده "حمدان خوجة"[21]، كما أرسل الجزائريون عريضة رفض لمشروع التجنيس الجماعي إلى المجلس الوطني الفرنسي سنة 1887م، كما حمل "ابن العربي"[22] و"ابن رحال"[23] مطالب الجزائريين إلى باريس سنة 1309ه (1891م)، المتمثلة في التعليم للجزائريين والدفاع عن القضاء الإسلامي والملكية الجزائرية ... إلخ، كما نقل الجزائريون عريضة ضد التجنيد الإجباري سنة 1912م إلى السلطات الفرنسية بباريس[24]، وقبل ذلك تقدمت النخبة الجزائرية سنة 1886م بعريضة مطالب لفرنسا [25]

وعندما أطلق الرئيس الأمريكي "ويلسون" مبادئه الأربعة عشر، التي نصت على حق الشعوب في تقرير مصيرها، قدم الأمير خالد عريضة هاجم فيها السياسة الاستعمارية، ولفت فيها أنظار العالم إلى الأوضاع السيئة التي يعيش فيها الشعب الجزائري[26].

ومما جاء في العريضة "فقد يسهل على الملاحظ المتجرد أن يرى بأم عينه فقر الأهالي الكبير. ففي الجزائر العاصمة نفسها ترى مئات الأطفال من الجنسين يلبسون الرث من اللباس وأعظامهم تكاد تبرز من تحت اللحم وهم يجرون فقرهم في الأنهج ويتسولون طالبين الحسنة العمومية...".

ثم استطرد خالد بالحديث فذكر ويلسون بتصريحه الشهير حول حق الشعوب في تقرير مصيرها فيخاطبه بقوله:" إن شروطكم الأربعة عشر14 من اجل سلم عالمي، سيدي الرئيس، قد قبلها الحلفاء والقوات المركزية، ولهذا ينبغي أنت تكون أساسا لانعتاق كل الشعوب الصغيرة المضطهدة دون تمييز لا في الجنس ولا في الدين "[27].

إن هذه العريضة التي رفعها الأمير خالد إلى الرئيس ويلسون تظهر لنا حقيقة البعد الاستقلالي في كفاحه، حيث دعا فيها صراحة إلى وجوب إعطاء الجزائريين الحق في تقرير مصيرهم بأنفسهم.

ومما يبرز ثورية الأمير خالد في هذا الصدد هو جرأته وشجاعته في الكشف عن شخصه وإعلان اسمه دون أن يخشى في ذلك لومة لائم ولا سطوة ظالم، فزيادة عن تذكيره بمقاومة الجزائريين للعدوان الفرنسي، من أجل العيش في ظل الحرية والاستقلال، فقد طالب خالد الوفد المرافق له باستقلال الجزائر عن طريق اختيار ممثلين جزائريين يحددون مستقبل بلدهم بأنفسهم..."[28].

والحق أن مبادئ ويلسون بشأن "تقرير المصير" قد تركت أصداء قوية في أوساط المواطنين الجزائريين، حتى بات الحديث عن هذا الحق هو محور أحاديث العامة والخاصة في المجتمع الجزائري لمدة طويلة من الزمن[29].

وإذا أمعنا النظر في مطالب الأمير خالد في عريضته إلى مؤتمر الصلح بباريس نجدها تتضمن تقريبا نفس المطالب التي احتوت عليها مذكرة "اللجنة الجزائرية- التونسية" التي نصت على استقلال الجزائر وتونس[30].

فعلى الرغم من إرادة الأمير خالد في أن يضع الرئيس ويلسون في الصورة لكونه صاحب شعار حق الشعوب في تقرير مصيرها غير أنه تصادم كما ذكر سعد الله "...عن مطالب الوفد الجزائري وتجاهلها لأنه كان غارقا في محاولة إقناع ساسة أوروبا بقبول مبادئه الأربعة عشر، فصدم الجزائريون من هذه المواقف المتناقضة، وتعتبر هذه العريضة في الحقيقة بمثابة إدانة للاحتلال الفرنسي أمام المجتمع الدولي[31]"

وإذا تتبعنا مواقف الإدارة الاستعمارية من مساعي الأمير خالد الوطنية نجدها من البداية رافضة وغير راغبة بتاتا في تقديم أية عريضة لمؤتمر الصلح تؤثر على وضعها في الجزائر ولذلك نظرت إلى نشاط الأمير خالد في هذا الصدد بعين الشك والريبة، فهو في نظرها يعمل على تحقيق الاستقلال للجزائر من خلال مؤتمر الصلح[32].

- **البحث عن انتزاع الحقوق ورد المظالم من خلال التمثيل :**

على الرغم من أن "الأمير خالد" قد مني بخيبة أمل بعد فشل تجسيد مبادئ ويلسون المتضمنة حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، حيث لم تجد من يترجمها إلى الواقع، فقد عمد إلى عمل سياسي آخر أكثر مرونةً ولیناً. يمكن من خلاله تجاوز بعض الممارسات السياسية الفرنسية الاستبدادية وترمي هذه السياسة الجديدة (التي اعتمدها الأمير خالد) إلى تحقيق هدفين: الأوّل على المدى البعيد وهو استقلال الجزائر، والثاني على المدى القريب وهو المناداة بالمساواة. وقد بدأ الأمير خالد نشاطه السياسي بمهاجمة جماعة النخبة، وبدأ يتحداهم في مقال نُشر في جريدته(الإقدام) سنة1919م، أنكر فيه قبول الجزائريين المواطنة الفرنسية إلاّ داخل إطارهم الخاص، وكانت النخبة في هذه الآونة تتحدث عن اندماج وتجنيس الجزائريين طبقاً للقوانين الفرنسية[33].

وقد اعتبر المحللون المعاصرون حركة الأمير خالد تعبيراً اسلامياً قومياً متخذاً من صناديق الانتخابات مجالا له. كما اعتبروها جزءاً من تحريك العالم الإسلامي الشامل نحو النهضة والانعتاق[34].

وعندما ظهر في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى القانون الذي أصدره البرلمان الفرنسي الذي اشتهر تحت اسم قانون 4 فبراير 1919م، والذي تحددت فيه الشروط الواجب توفرها للتمتع بحقوق المواطنة الفرنسية الكاملة[35]، لأنه فتح فجوةً صغيرة لنشاط سياسي محدود أمام "الأهالي" يشتمل على حق التمثيل في كل المؤسسات التمثيلية المحلية الأربعة: مجالس البلديات، المجالس العامة للعمالات، المندوبات المالية والمجلس الأعلى للحكومة...الخ، فقد وجد فيه الأمير خالد مجالا لتحركه السياسي بما يساعد على تحقيق آمال ولو جزئية لبني جلدته. على الرغم من المناخ السياسي الذي كانت فيه البلاد والذي لم يكن يساعد البتة في الوصول لنيل ولو أبسط الحقوق، فقد تحالف على الشعب الجزائري غلاة المعمرين والادارة الاستعمارية اللذان يكنان العداء السافر للأهالي.

وقد كانت بداية تجسيد الأمير خالد لطموحاته السياسية وأهدافه المسطرة على أرض الواقع عندما تقدم لأوّل مرة إلى الانتخابات البلدية على مستوى الجزائر العاصمة سنة1919م. وكانت 3 قوائم متنافسة، اثنتان منها للشبان الجزائريين، أين كان التنافس الفردي موجود وأكيد، ولكن لأول مرة المعركة أخذت في النظام السياسي إمّا مع أو ضد التجنيس. إحدى هذه القوائم "الشبان الجزائريين" المشكلة من قبل كل من "الحاج موسى" مستشار بلدي منذ 1884 لمدينة الجزائر، إنسان تقى جدا ومتعلق بالإسلام، وهذه القائمة لا تضم أي متجنس والشخصية الملاحظة في هذه القائمة هي شخصية "الأمير خالد"، بخلاف قائمة "ولد عيسى" و "بن تامي" التي تظم أيضا بعض أعيان العاصمة المعروفين ولكن كانوا من المتجنسين أو مؤيدين للتجنس، أما القائمة الثالثة مكونة من أعضاء جزائريين واثنان من الأوروبيين المدافعين عن مصالح المسلمين.

وأثناء الحملة الانتخابية النشطة جدا قال خالد للناخبين: "... انتخبوا على القائمة الاسلامية إن أردتم أن لا تسير شؤونكم من قبل المطورنين...".

وقد حققت قائمة خالد الانتصار حيث حصلت على عدد من الأصوات تراوح ما بين 940 و824 صوت لكل منتخب من أعضاء القائمة مقابل ما بين 392 و107 صوت لأعضاء القائمة المنافسة[36] وقد اتخذ الأمير خالد في عملية الدعاية للانتخابات وضمان الفوز لقائمته فيها بطانته من المزابيين التجار بعين مليلة وغيرها، كما نشر " أبو اليقظان"[37] فصولا في الصحافة التونسية تدعوا الجزائريين لترشيح الأمير خالد للمجلس الجزائري وتأييده وتأييد حركته، كما ناصره أعيان ومشايخ المزابيين في كثير من نواحي الوطن، وكان من مستشاريه ومؤيديه ماديا ومعنويا السيد "إبراهيم بوجناح" التاجر بالمدية[38].

وقد كانت الحملة الانتخابية للأمير خالد كما قال "عمار أوزيقان"بمثابة: "... استفتاء شعبيا لا ريب فيه"[39].

أما بالنسبة لخصومه فلم يهضموا بالمرة انتصار قائمة الرافضين للتجنيس بزعامة الأمير خالد، حيث راح زعيم " الشباب الجزائري" الدكتور

"بن التهامي"[40] - الذي لم يحصل سوى على 332صوتا- يكيل التهم لخالد بأنه يتآمر ضد السلطة ومن ثمة طالب بإلغاء هذا الاقتراع الذي لم يجر حسب رأيه في جو هادئ وظروف عادية، وهو الطلب الذي دعمه المجلس العام لعمالة الجزائر الذي أوصى هو أيضا بإلغاء نتائج الاقتراع، لما أوعزت الولاية العامة لابن التهامي بالذهاب إلى باريس والقيام بالمساعي في هذا الاتجاه، والتي أسفرت عن تعليق نتائج الانتخابات وليس الغائها[41].

وقد أقرت الإدارة الاستعمارية بفوز الوطنيين المتمسكين بقيمهم وأصالتهم، والسقوط الحر للمتفرنسين المتجنسين السائرين في فلك سياستها، يقول "قداش": "... وقد استخلصت الادارة معنى الانتخابات، فحسب تقرير الحاكم العام كان النقيب خالد البطل الوحيد في عالم الأهالي، وشعاراته المدوية قد فاقت الخيال منحت له مكانة معتبرة في المقاطعات الثلاثة، وتم بهذه المناسبة استذكار مآثر الجد الأمير عبد القادر. إن الهزيمة الساحقة التي تلقاها في مدينة الجزائر المثقفون المتشبعون بالحضارة الفرنسية قد وسمت افلاس هذا "الحزب" الذي انهار بصفة مرئية أمام تقدم "التيار الاسلامي المحافظ" تحت قيادة النقيب خالد[42].

ولم يكد خصوم خالد يفيقون من صدمتهم بعد هزيمتهم في انتخابات 1919م حتى حقق الأمير خالد نصرا جديدا بفوزه في انتخابات المجالس الولائية و المندوبيات المالية 1920م، فقد دخل الأمير خالد وجماعته في هذه الانتخابات وانتصب معارضا لمنافسيه من أنصار التجنيس[43]. وجاءت نتيجة الانتخابات فأفرزت فوز جماعة الأمير خالد في جميع المدن، فتحصل الأمير خالد على 2995صوت في حين لم يحصل منافسه "تامزالي" إلا على 245صوت[44]، وقد برهنت هذه النتيجة على ثقة الجزائريين المطلقة بالأمير خالد ودعمهم لقيادته. وقد كتب في هذا الصدد خالد في يوم 9 جانفي 1921م رسالة إلى وزير الداخلية الفرنسي في باريس جاء فيها: "... على الرغم من الضغوط التي لا توصف فقد نجحت القائمة التي أترأسها بكاملها..."[45]. ولم يعد لدى الادارة

الاستعمارية في الجزائر اعتبارا من هذا التاريخ أدنى شك أو ريبة في أن "خميرة الوطنية قد نبتت في الجزائر"[46].

وفي شهر جويلية من عام 1921م وبإلحاح من النواب المنتخبين المسلمين للبلديات رشّح الأمير خالد نفسه للانتخابات الفرعية، ومرة أخرى عاودت الإدارة الاستعمارية مضايقتها له وسعت بقوة لإسقاطه، غير أنها فشلت فشلا ذريعا، حيث فاز الأمير خالد بأكثر من ألفي صوت وانتصر على منافسه "محي الدين زروق" الذي كان مرشح المخابرات الفرنسية[47].

وأمام هذا الالتفاف الجماهيري حول "الأمير خالد" (وحزبه) راحت السلطات الاستعمارية تهاجم بقوة وعنف هذا التيار الوطني الذي يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر مشيرة إلى خطر مطالبه السياسية المطروحة " لو أعطت فرنسا كما يطالب خالد بذلك ستة ملايين من الأهالي حقوقا مساوية لمواطنيها مع احتفاظ هؤلاء الستة ملايين مسلم بقوانينهم الخاصة، فسيكون معنى ذلك ببساطة إقامة دولة في دولة معادية لفرنسا ولأفكار الجمهورية وسيؤدي ذلك إلى القضاء على السيادة الوطنية إلى الأبد في هذا البلد حيث جلبنا الحضارة والإزهار حتى وإن لم يعجب ذلك خالد المقتنع بأن أجداده جلبوا الحضارة إلى أوروبا... إلى حدود بواتيه دون شك ..."[48].

تدخلت الإدارة الاستعمارية بقوة في الانتخابات التي جرت سنة 1922م وعملت على إسقاط ثلاثة من مرشحي حزب "الجزائر الفتاة"، وعلى الرغم من فوز الأمير خالد فيها فقد كانت نتائج هذه الانتخابات تمثل انتصارا لرئيس الشرطة الذي تمكن من إقصاء أصدقاء خالد وإخوانه، وقد عبر عن خيبة أمل كبيرة غير المتوقعة بقوله: "... إننا ضحايا قضية عادلة، وتشاركنا كتلة الجماهير كلها طريقتنا في معالجتنا للأمور أنهم قليلون أولئك الذين يمتلكون الشجاعة للتعبير عن أراءهم..."[49].

أمام هذه التطلعات الطموحة للجماهير الجزائرية للتغيير نحو الأفضل، وخيبات الأمل لدى النخبة الممثلة للشعب فقد عمدت الادارة الاستعمارية على كبح

جماح هذا النشاط ذو البعد الوطني للسعي للمحافظة على الوضع القائم بالقوة ولو بحد السلاح. أدرك الأمير خالد هذه الحقيقة فراح يستقيل المرة تلوى الأخرى من المجالس التي كان من المفروض أن يدافع فيها عن مصالح ناخبيه من المسلمين بعد أن اصطدم بالعراقيل الدائمة التي تقيمها الأغلبية الساحقة الممثلة لأقلية المستوطنين، زيادة عن حملاتها الاعلامية الكاذبة والحاقدة ضده[50]، فمنذ سبتمبر 1922م راحت الصحافة التابعة للدوائر الاستعمارية (الكولون) في فرنسا تروج لفكرة " إن مطالب الأمير خالد لا تقف عند حدود التمثيل النيابي – للبرلمان- وأنه يحاول جمع الأموال لإقامة مدرسة كبرى يتم فيها تعليم اللغة العربية بصورة حرة..."[51].

وكان خالد داخل المجالس وهو ممثلا لمنتخبيه يرافع دوما من أجل قضايا شعبه العادلة منددا بالمنتخبين الإداريين الذين تجرأوا على الموافقة على إعادة العمل بالأحكام التأديبية واصفا ذلك: " بمجتمع بني وي وي ((الإمعة))..."[52]، ومن ثمة جلب على نفسه ليس فقط عداء وحقد ممثلي الإدارة الاستعمارية، بل وعداء أولئك الذين أداروا ظهرهم لقضايا شعبهم، من المتجنسين الذين صاروا ألعوبة في يد الإدارة حتى سماهم بـ "بني وي وي" "نعم- نعم" .

لقد كانت معركة الانتخابات بالنسبة للأمير خالد وسيلة لتحقيق الأهداف المسطرة وليست غاية في حد ذاتها، ولو كُتب للجزائريين أن يمثلوا نفسهم حقيقة في البرلمان الفرنسي لكان ذلك أكبر خلاص لهم من تسلط المعمرين، ويصبح الأمر من ثمة هيناً كي يطالبوا بإلغاء القوانين الاستثنائية التعسفية المطبقة عليهم ويحق لهم حينئذ سن القوانين التي تخدم مصالحهم ومن ثمة تحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وربما يطالبون بالانفصال السياسي عن فرنسا[53].

وعندما زار رئيس الجمهورية الفرنسية "ألكسندر ميلران" الجزائر في سنة 1922م اغتنم الأمير خالد هذه المناسبة وخطب أمامه باسم جميع سكان الجزائر، مذكراً إياه بأنّ الجزائريين إيماناً منهم بالتقاليد الشريفة "للأمير عبد

القادر" "حاربوا دفاعاً عن الحق والحرية، بجانب فرنسا زمن الأخطار وقال بأنَّ الجزائريين يجب أن يحصلوا على تمثيل نيابي في المجلس الوطني الفرنسي...."[54].

وقد أثار هذا الخطاب حماس الشعب الجزائري فآزره بالتصفيق والهتاف الحار المتواصل والنسوة بالزغاريد[55]، لكنه أغضب رجال الحكومة الاستعمارية التي لم تغفر له ذلك واعتبر خطابه المعتدل جداً ورغم تقديمه في لهجة محترمة، بأنّه مظاهرة معادية لفرنسا، وكان الحديث عنها في فرنسا "حادثة خالد". وراحت الصحافة الأوروبية في الجزائر تحرك فزاّعة "القومية العربية" و"البلشفية"، ورأت في ذلك الدليل عن تفاقم البلبلة والتشويش باسم القومية الاسلامية التي كانت تتجمع وراء خالد[56].

- **جريدة الإقدام كأداة للعمل الوطني :**

تعتبر جريدة الإقدام لسان حال "الشبان الجزائريين"، والمعبرة في الواقع عن آراء الأمير خالد أُسست في 10 سبتمبر 1920م، كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية[57]. في البداية كان الأمير خالد مسؤولاً عن تحرير الطبعة العربية وفي سنة 1921م أصبح مسؤولاً عن الجريدة بأكملها. وقد اعتبرها خالد سلاحه المفضل، وكانت "الإقدام" تمثل له ثلاث سنوات من الكفاح من أجل القضية الجزائرية، والدفاع عن مصالح المسلمين.

وكان الأمير خالد مدركاً من البداية لقيمة المنبر الإعلامي للتّعبير عن مطالب الشعب فأسس الإقدام لتكون بمثابة ريح قوية تحمل في طياتها معاني الحكمة وسداد الرأي[58] وفي أكتوبر 1922م أصبح خالد رئيس تحرير "الإقدام" ومسؤول الادارة السياسية لها[59].

وقد أدت جريدة "الإقدام" دوراً كبيراً في فضح تعسف الإدارة، فقد هاجم خالد بضراوة القادة الأهالي "الذين باعوا أنفسهم للإدارة".[60]

ومن خلال جريدة "الإقدام" أيضاً ندد الأمير خالد بتمديد قانون الأهالي[61].

ومن خلال جريدة "الإقدام" تسجل المداخلات أمام السلطات العمومية رسالةً مفتوحةً لبن رحال موجهةً للحكومة العامة فيما يتعلق بالمجاعة، محاضرة عن الحالة العامة للساكنة الجزائرية المسلمة موجهة للبرلمانيين أثناء تحقيقهم في الجزائر سنة 1921م. كما اهتمت "الإقدام" خصوصاً بمسألة التجنيد الإجباري، فاضحةً الصحف الأوروبية، والمنتخبين المعمرين المطالبين بإلغائه. "...الآن بعد تقديم التضحية الآن بعد انتهاء حرب التحرير الكبرى التي ترك فيها الأهالي أكثر من مائة ألف ضحية..."[62]

وما بين (1920-1923م) ناضل خالد بلا هوادة ضدّ النظام الاستعماري، الإدارة العليا وصحافة الأوروبيين، ففي آخر عدد من جريدة الإقدام المؤرخ بتاريخ 26 مارس 1923م ندد الأمير خالد بالاستعمار الفرنسي في الجزائر وبما تفنن فيه من هضم لحقوق الجزائريين واستغلال لثروات البلاد، ومنح المواطنة لشذاذ الأفاق من المعمرين الأوروبيين. [63].

- السعي لجمع الشمل : "جمعية الإخوة الجزائرية" :

أدرك الأمير خالد بحنكته السياسية مرامي الإدارة الاستعمارية وخططها الجهنمية القائمة على سياسة "فرق تسد" التي كانت تستهدف هدم الأسس التي يقوم عليها الكيان الجزائري والعمل على تمزيق نسيجه السكاني، وذلك من خلال تغذية الصراعات الطائفية والجهوية لكي يسهل عليه التحكم والسيطرة على الجزائر بصفة دائمة ارضاً وشعباً، فوقف متصدياً لهذه الخطط الاستدمارية. داعياً كل المسلمين الجزائريين إلى الاتحاد والأخوة، والابتعاد عن الفرقة والتشرذم، وانطلاقاً من كل هذه الاعتبارات سعى الأمير خالد إلى تأسيس جمعية وطنية باسم "جمعية الإخوة الجزائرية" في سنة 1922م مع نخبة من المثقفين الجزائريين أمثال: "القايد حمود، زهير بن سماية، حميدة يوسفى" وغيرهم. وقد رسمت خطة محكمة لتحقيق جملة من الأهداف الوطنية السامية التي تتضمن: "البحث عن الوسائل للدفاع وترقية الحالة المعنوية والمادية والفكرية والاقتصادية والسياسية للمسلمين الجزائريين"[64]. وقد جعلت الجمعية من مبدأ الاتحاد بين

الجزائريين هدفها الرئيس. واتخذ نشاطها شكل اجتماعات عامة تلقي فيها المحاضرات حول القضايا المتعلقة بالحضارة العربية الاسلامية والتي من خلالها يتم ابراز أهمية الاتحاديين الجزائريين والذي بفضله تحقق جميع مطالب الأهالي، ففي إحدى الاجتماعات التي نظمتها الجمعية يوم 26 مارس 1922م خاطب فيه الوكيل الشرعي السيد "حمادو" الجماهير بقوله: "... إن الثورة الفرنسية قام بها الشعب وهو الذي سيحقق الثورة المقبلة..."، وهي نفس الفكرة التي عبر عنها الأمير خالد بدوره "عندما تكونون جميعا معنا فإننا نستطيع السير إلى حيث نريد حتى وإن دفعنا حياتنا ثمنا لأجل ذلك"[65].

وكانت مرامي "جمعية الأخوة" تكمن في تطبيق شامل لقانون 4فيفري 1919م[66]

ولما عقدت "جمعية الإخوة الجزائرية" اجتماعها بالمسرح الجديد في شهر مارس 1922م لعرض برامجها وتبيان مقاصدها، لفت الانظار ولأول مرة حضور زهاء أربعة آلاف شخص وقد تناول الكلمة بهذه المناسبة "الأمير خالد" الذي ذكّر الحاضرين بالتاريخ الحضاري للعالم الإسلامي والجزائري على وجه الخصوص وركّز في مداخلته على شرح كلمة "الاتحاد" وشنف أسماع الحاضرين بقصيدة حماسية إرشادية أثرت في النفوس وأبكت الكثير من الناس وهي بعنوان: "ذكرى للعاقلين، وتنبيه للغافلين"، وكأنه استلهم العنوان من كتاب جده "الأمير عبد القادر"، والقصيدة تصوير دقيق للواقع الجزائري المتردي ودعوة للنهوض واليقظة والاحتذاء بسيرة السلف الصالح ومما جاء فيها:

أهل الجزائر ما هذا الجمود وما هذا التأخر دون الناس كلهم

سيروا على منهج الأسلاف واجتهدوا وسارعوا لاكتساب العلم بالقلم[67]

ليحذّر في الأخير من عواقب التفرق والتشرذم الذي تكون نتائجه مزيد من التخلف والانحطاط فيقول:

إن التفرق داء موصل بكم إلى الشقاق والخسران والنقم

وزينة الناس في الدنيا معارفهم دين وصدق وإخلاص لربّهم[68].

وقد عمد الأمير خالد إلى تأسيس فروع لجمعية الإخوة الجزائرية عبر التراب الوطني وقد وجهت الجمعية نداء لمسلمي الجزائر ذكّرت فيه بالأهداف التي أسست من أجلها. وأنها لا تتوانى في التنديد وبكل قوة ضد المظالم والقهر والتجبر والطغيان، وأنها لا تكف عن مطالبة فرنسا والرأي العام فيها لمساعدتها في التصدي للممارسات المعادية للعرب الظاهرة منها والخفية تحت مختلف الأشكال[69].

وخلال الجولة التي قام بها عبر مختلف المدن ألقى كل من "أحمد بلهول" و"الأمير خالد" خطبا في مختلف التجمعات التي عقداها[70]. وقد توجست السلطات الاستعمارية خيفة من هذا النشاط ذو البعد الوطني المتنامي، الأمر الذي جعلها تقرر خنق أنفاس هذه اللبنة في المهد قبل توسع دائرتها، فعمدت من ثمة إلى تعبئة كل أدواتها المباشرة وغير المباشرة من أجل ذلك في القطاع الأوروبي وأعوانها من الأهالي الذين هم أشد حرصاً على مصلحة فرنسا منها هي نفسها.

لقد فعلت هذه الآلية القمعية فعلتها الشيء الذي أدى إلى انتقاص عدد الأنصار الذين انفضوا من حول الجمعية، ولم تبق إلا القلة القليلة التي تستطيع الجهر بالانتماء إليها والمشاركة في نشاطها[71]. وذلك أن هذه الجمعية (الأخوة الجزائرية) كانت في الواقع تحمل دلالة تنظيم سياسي وطني منظم بثت الرعب في الإدارة الاستعمارية التي ألفت السكينة والهدوء، فخافت على مستقبلها "لأن مخاطبة الأهالي مباشرة من خلال التجمعات والمحاضرات كان شيئاً جديدا في الحياة السياسية آنذاك، وكان اقبالهم على هذه التجمعات ظاهرة جديدة كذلك فضلا عن خطاب غير مألوف يدعوهم إلى التعبير عن إرادة مشتركة في أن يعاملوا بعد الآن كبشر لا كالحيوان الخدوم..."[72].

خلاصة عامة: نستخلص من كل ما سبق تناوله أن كفاح الأمير خالد استهدف قبل كل شيء بعث جزائر جديدة وعصرية محافظة على مقوماتها العربية الإسلامية، والسعي لتحقيق وحدة وطنية قصد مواجهة أعداء الأمة من

إدارة ومعمرين وأعوانهم من قياد وباشاغوات وغيرهم. كما يظهر لنا الأمير خالد كأبرز رائد من رواد الحركة الوطنية الجزائرية رافع من أجل حقوق شعبه وعلى رأسها حق تقرير المصير.

الهوامش والإحالات :

(1)- انظر: بسام العسلي، الأمير خالد الجزائري، دار النفائس، بيروت، 1402هـ - 1982م، ط1، ص 89.

(2)- نفسه، ص 92 وما بعدها. وانظر عن طفولة خالد بالجزائر أيضا:

Ali Merad, L'émir Khaled vu par Ibn Badis, revue de l'Occident musulman et de la méditerranée, n°9, 1971,p 26.

(3) – أحمد النوي، "كلمة الافتتاح لليوم الدراسي حول الأمير خالد"، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م، ص 06.

(4) - Mahfoud Kaddache, « L'Emir Khaled, Jeune Etudiant et officier», in : Revue D' Histoire et De Civilisation Du Maghreb, N 10 , Alger , octobre 1973, P 102.

(5)– محفوظ قداش، "صورة من حياة الأمير خالد في شبابه"، ترجمة : حنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، ع13، الجزائر 1973م، ص 14وما بعدها.

(6)– أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ص 58.

(7)– عاد إلى الجزائر بسبب ظروف والده الصحية، انظر: - العسلي، نفس المرجع ، ص 94.

(8)– استقبلت عائلة الأمير في بوسعادة استقبالا حسناً، ولم تستطع السلطات الاستعمارية أن تمنع الجزائريين من التواصل بخالد خاصة عند تردده على المسجد، انظر: قداش، نفس المرجع ، ص 19وما بعدها.

(9)– انظر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، يوم دراسي حول الأمير خالد، نوفمبر 1986م، ص 51 .

(10)- العسلي، نفس المرجع ، ص 97.

(11)– ضابط فرنسي كبير ، عين في المغرب الأقصى كمقيم عام بعد فرض الحماية عليه سنة 1912م.

(12)– عن الأمير عبد المالك: انظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986م، ص 236 وما بعدها.

(13)– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الثقافة، بيروت، دت، ض 468.

(14) – جمال قنان، " الكفاح الوطني وردود فعل الاحتلال في الفترة ما بين الحربين 1918-1939م"، مجلة المصادر، العدد 13، الجزائر 2006م، ص 17وما بعدها.

(15) – الجيلالي، نفس المرجع، ص 488.

(16)- Charles Robert Ageron, « L'EmirKhaled, petit Fils d'Abdelkader, est-il le premier Nationaliste Algérien », in : Revue l'occident Musulman et de la méditerranée, N° 02 , P 13.

(17)- العسلي، نفس المرجع، ص 107وما بعدها.

(18) -Kaddache, «L'Emir Khaled», in : documents et Témoignages pour servir a L'étude du Nationalisme Algérien, O.P.U., Alger 1987, P 27.

(19)- العسلي، نفس المرجع، ص 110.

(20)– انظر: مجلة الشهاب، ج11، مجلد 11، فيفري 1936م، ص 622.

(21)– عن حمدان خوجة أنظر حميدة عيمراوي، دور حمدان خوجة في القضية الجزائرية، دار البعث، 1984م.

(22)– عن ابن العربي ، انظر: عبد الرحمن الجيلالي، نفس المرجع، ص 453 وما بعدها.

(23)– عنه انظر:

Ageron, «M'hamed Ben Rahal», in : revue les africains ,N° 90 t XIII, Paris, 1977, PP 315-339.

(24)– الجيلالي، نفس المرجع، ص 464 وما بعدها.

(26)– أحمد سعيود،" مساعي الحركة الوطنية الجزائرية في اعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى"، المصادر، ع 9، 2004م، ص 155.

(27) أنظر راسالة الأمير خالد إلى ولتسن الجزائر 2008 ص 38 وما بعدها

(28) – مناصرية نفسه.

(29) – العسلي، نفس المرجع، ص 112.

(30)– انظر المذكرة الموجهة إلى مؤتمر السلام من اللجنة الجزائرية- التونسية بتاريخ جانفي 1919م: عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت ، ط (1)، 1984، ص 205وما بعدها.

(31)– انظر: سعد الله، "عريضة الأمير خالد إلى الرئيس ويلسون"، مجلة التاريخ، 1981م، ص 12وما بعدها.

(32)– العسلي، نفس المرجع، ص 114.

(33)- مناصرية، نفس المرجع، ص 51وما بعدها.

(34) - سعد الله، "العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية خلال العشرينات"، نقلا عن:

- L' EtoileNord Africaine et le Mouvement National Algérien, Actes du colloque du 27/03/1987 Centre Culturel Algérien, Paris, P 293.

(35)– انظر، عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج1، ، الجزائر 1984، ص 72وما بعدها.

(36) -Kaddache, op-cit, P 42.

(37)- عن أبي اليقظان أنظر محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

(38)- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية1992 م، ص 173.

(39)- أوزقان عمار ، الجهاد الأفضل ، ط 1 ، دار الطليعة، بيروت 1962، ص 99.

(40)– عن ابن التهامي انظر:

- Archives d'outre mer (Aix-En Provence) AM 14H44.

(41)– قنان، نفس المرجع، ص 24.

(42)محفوظ قداش. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. تر أحمد بن البار، دار الأمّة، الجزائر 2008 ، ص128.

(43)– لقد حقق الأمير خالد الفوز العريض في الانتخابات على قائمة ابن التهامي المؤيدة للتجنيس، انظر:

K Bougussa,Aux Sources du Nationalisme Algérien ,Alger 2000,P 111.

(44)– إحدادن، الإسلام والتصدي للتجنيس من خلال مواقف الأمير خالد ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، محاضرات الموسم الثقافي، 1997- 1999- 1420هـ ، ص 163وما بعدها.

(45)– العسلي، نفس المرجع، ص 133وما بعدها.

(46)– نفسه، ص 139.

(47)– العسلي، نفس المرجع، ص 133.

(48)- قداش، الحركة الوطنية...، ج1، ص 142.

(49)– العسلي، نفس المرجع، ص 149 وما بعدها.

(50)– محساس، الحركة الثورية في الجزائر، ترجمة: الحاج مسعود، دار القصبة ، الجزائر 2003، ص 48وما بعدها.

(51)-Ageron, op-cit, P 37.

(52)– قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ص 133.

(53)– مناصرية، المرجع السابق، ص 53.

(54)– سعد الله، حركة الأمير خالد السياسية، مجلة الجيش، ع03، جوان 1973م، ص 24 وما بعدها.

(55)– الجيلالي، نفس المرجع، ص 135.

(56)– قداش، المرجع السابق، ج1، 135.

(57)– سعد الله، " حركة الأمير خالد السياسية"، المرجع نفسه، ص 24 وما بعدها.

(58)– قنان، نفس المرجع، ص 29 وما بعدها.

(59)- Claude Collot, «Le Régime Juridique de La Presse Musulmans Algérienne 1881-1919 » in : R .A .S J. E .P, N°2, Jun 1968,P357.

(61)– قنان، نفس المرجع، نقلا عن: الإقدام، 1923/03/23م.

(62)– قداش ، المرجع السابق، ص 131 وما بعدها.

(64)- Archives d'outre mer (Aix-En Provence) : 12H06.

(65)– قنان، نفس المرجع، ص 39 وما بعدها.

(66)– الخطيب، نفس المرجع، ص 78 وما بعدها.

(67)– أنظر جريدة الاقدام عدد 72 21 مارس 1922 .

(68)– قنان، نفس المرجع، ص 40 وما بعدها.

(70) - انظر: جريدة العصر الجديد، تونس 11 /1922/11م.

(71)– قنان، نفس المرجع، ص 43.

(72)– محمد عباس، "الأمير خالد قبس في سماء حالكة"، جريدة الشروق، 2009/4/21م.